الجمهورية الجـــــزائرية الديمقراطية الشعـــــــبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران –السانيا-
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم العلوم الأسلامية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجيستير
في العلوم الإسلامية

منهج الإمام الترمذي
في الحكم على الحديث بالحسن في الجامع

من إعداد :
الطالب قبلي بن هني

تحت إشراف:
الدكتور عبد القادر سليماني

السنة الجامعية: 2006-2007

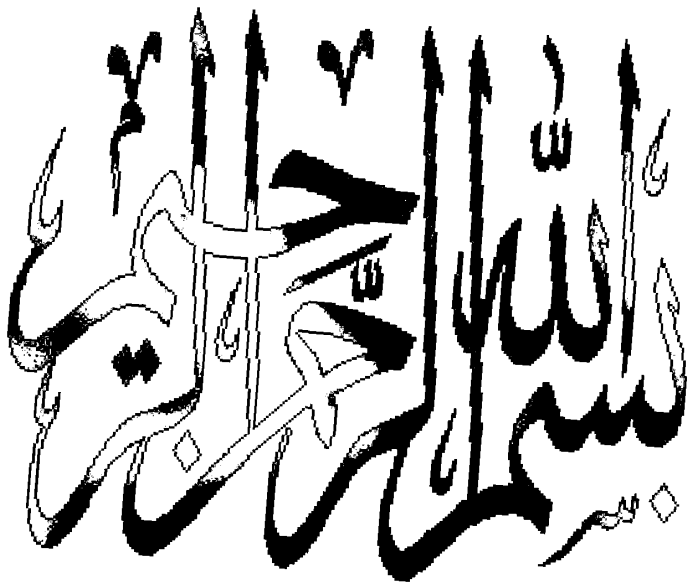

... بعد حمد الله تعالى على منته العظيمة في إتمـــام هـــذه الرسالة وتوفيقه على بلوغ القصد , أهديها ببالغ التقـــدير والاحترام والتبجيل إلى سماحة الوالدين الكريمين.

... وجميع إخوتي وأختاي الفاضلتين.

... وإلى جميع الأقارب والأحبة والزملاء وأهل الفـــضل الكرام.

...شكر وتقدير...

وأَثَنِّي بعد ذلك بالشكر الخالص لجلة من الأكرمين على رأسهم الدكتور عبد القادر سليماني الذي تشرفت كثيرا بإشرافه على هذه الرسالة , وقد تابع معي أطوار جمعها حتى غدت على هذه الهيئة.

كما أتقدم بالشكر على السادة الأفاضل الدكتور لخضر لخضاري شيخ المقاصد , والدكتور عكاشة حوالف شيخ القراءة , والدكتور حمحامي مختار والدكتورة جمعي التي استفدت من توجيهاتها القيمة, وباقي الأساتذة بالمعهد.

ولا أنسى فضل المركز الثقافي بالحمري الذي وفر علينا تلك المكتبة المتواضعة والتي استفدنا منها كثيرا.

وأشكر كل من ساعدني في إنجاز البحث شكرا خالصا وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم):((من لا يشكر الناس لم يشكرالله)) [رواه الترمذي في البر والصلة(ح1961/ج3/ص383) وقال:حسن صحيح].

وأبلغ في هذا المقام تحياتي إلى كافة الزملاء في الدراسات العليا وفي كافة التخصصات.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا الله الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾[النساء:1]

وقال تعالى:﴿ يا أيها الذي ن آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران:102]

وقال تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سد يدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [الأحزاب:70]

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد(لى الله عليه وسلم) وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

ثم مهما يكن من شيء بعد فإن تح صيل الرضا لا بد له من العمل المخلَص فيه والذي يندرج به تحت جنس من حصلت لهم به الرحمة, فكان عند الله بعمله من الفائزين.

ولا يصح في الأذهان السليمة شيء ما لم يكن فيه تطابق بين ما نقل وبين ما عقل , وبينهما في التدليل تكامل إلا أن الثاني اعتبر شاهدا من غي به أنقص و لم يضر بأحقية الدليل في نصب الدلالة على المدلول , ولكامل القريحة النظر فيه والمناظرة به لتحصيل مزيد اليقين في مواجهة غير المصيب, ومعلوم أن النقل كتاب ناطق بالبينة وسنة محكمة هي الحجة البالغة، يهديان كلاهما العاني إلى الطريق .

والباحث في علومهما باحث تحت قاعدة (يقين لا يزول بالشك) فهو على بينة من الله تعالى، ولشرف المعلوم ازداد المتعلم به شرفا لاحتوائه وصف ما به علم.

والسنة المشرفة لهي أعظم ما يتناول بالبحث في زمن علومها تنبئ بالعصمة فيه وتحمي حاملها من الزلل في أودية الأقاويل والدعوى.

ومن هذا المنطلق تكريسا لخدمة العقل الباحث وتعويلا على فهوم ذوي الهمم العالية من الأئمة والمستبصرين من أهل الحديث المتقدمين منهم والمتأخرين، واستنجادا بمبادئ هذا الفن العظيم وقواعده المؤسسة في شتى أنواع علومه على الهدى والنهج المستقيم -حيث من وقع في الخلف منها كان متبعا سبيل غير المؤمنين- ومعلوم أن الغاية القصوى في هذا العلم وأعلى مقاصده هو بلوغ درجة من اليقين تمكن الباحث من معرفة صحة الحديث وسقيمه، وجميعُ فنونه ومباحثه مسخرة لتحصيل هذه الغاية , واستمداده من نقل العلماء الجهابذة للمرويات ولنقلة الأخبار بما خصهم الله تعالى من فضيلة المعرفة والعدالة والورع، وهؤلاء لم يزالوا في كل دهر وزمان من لدن عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى أن دونت السنن في مدونات مختلفة المناهج والمسالك.

كما تم وضع معالم علم السنة رواية ودراية، ومن بعدهم في كل عصر تبع لهم فيه، وكل من عول على علومهم وبذل قصارى وسعه في تحصيلها نال ما أراد منها، وطول الممارسة وملازمة أهل الفن تكسب المعدوم وتمن على الفاقد بغيته، فهو فن دقيق لا يحصله كل طالب.

قال أبو عبد الله بن منده :" إنما خص الله بمعرفة هذه الأخبار نفرا يسيرا من كثير ممن يدعي علم الحد يث...فليس لهم أن يتكلموا في شيء من علم الحديث إلا من أخذه عن أهله وأهل المعرفة، فحينئذ يتكلم بمعرفته"[1].

فلما سنحت لي بحمد الله تعالى هذه الفرصة بالخوض في غمار هذا البحث -لعلي أنظم إلى سلك من سبقني فيه - ونظرت في أبحاث الأئمة الأكثر اهتماما ففضلت أن تكون رسالتي في موضوع حاولت فيه أن يتسم بالجدة والحداثة من جهة الطرح والمناقشة في كل ما يصلح أن أحصّل نظره والانتقاء من الآراء السابقة والنقود النافذة.

فبعد إمعان ومراجعة ظهر لي أن أبحث في موضوع **(الحديث الحسن)** والذي ما يزال بحاجة إلى بحث وتأصيل وتطبيق، فكثيرا ما تكلم فيه المتقدمون ومن بعدهم، وهكذا الحال

1-شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي(ص79)

إلى زمننا والأئمة يتناظرون فيه بالمجالس والمكاتبة والتأليف , وكل من كان دوره أدلى فيه بدلوه و لم يسْلم من معترِض.

ومهما كانت صورة ا لبحث فإني معترف فيما سأقدمه بعون الله تعالى ليس إلا خطوة متواضعة في مسيرة واسعة الجوانب عميقة الأغوار في دقائق المنهج النقدي الرائد عند أهل الحديث وتطبيقاتهم، ورحم الله عز وجل رائد هذا الفن في التأصيل والتقعيد الإمام الشافعي(ت204هـ)حيث قال رحمه الله تعالى :" من تعلَّم علما فليدقق فيه لئلا يضيع دقيق العلم"[1].

كما أني معترف بما لا يبرأ منه أحد مثلي من خطأ وسهو , والكمال لله تعالى وحده والعصمة لأنبيائه.

ولما كان موضوع بحثي في **الحديث الحسن** نظرت فإذا أقدم من تكلم عن الحسن فأشهره وعرّفه وحكم به على الأحا ديث وأكثر من التطبيق فيه، الإمام الناقد الحبر المعلم العلم الجهبذ**أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي** صاحب الجامع والعلل الكبير , فقد استعمل رحمه الله تعالى مصطلح الحسن باستعمالات مختلفة بين الإفراد والتركيب فأعجز من بعده في حكاية مثله وفهم مراده، وخالف من قبله في التحديد والتمثيل فكان بصنيعه الذي لم يُسبق إليه فريد زمانه وأوحد عصره , حتى أضحى كتابه أصلا للحديث الحسن كما قال العلامة الحافظ ابن الصلاح:

كتابٌ أبي عيسى الترمذي رحمه الله أصل في معرفة الحسن "[2], وإن كان قد سبق إليه استعمالا فقد أشهره وأكثر منه في ا لكتاب، ولذلك قال ابن الصلاح :" وهو الذي نوه باسمه وأكثر من ذكره في جامعه، ويوجد في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي قبله كأحمد والبخاري وغيرهما"[3].

و لم يعرّف الأئمة قبل الترمذي الاصطلاحات استغناء بمعرفة أجناسها وأنواعها واكتفاء بخبرتهم وطول ممارستهم للحديث رواية ودراية، ومعرفة تامة بمراتب النقلة

-1- مناقب الشافعي(ج2/ص142) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ج1/رقم416)

-2- مقدمة علوم الحديث لابن الصلاح(ص22)

-3- المصدر نفسه(ص22).

وتواريخهم وطبقاتهم وجميع أحوالهم.

ومعلوم أن القدامى من أئمة الحديث لم يعرفوا بالحسن اصطلاحا -أي من قبل الترمذي- لأنهم لشدة احتفائهم واعتنائهم بالحديث، وهو قوة معرفتهم لصحيحه من سقيمه وشاذه من منكره ومضطربه، وغير ذلك من أنواع علوم الحديث هي في غنية عن التعاريف التي اهتم بها المتأخرون، مع الفوارق الكبيرة بين منهجي المتقدمين والمتأخرين.

وقد جرى على منوال من بلغتنا مؤلفاتهم في علوم الحديث مثل القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي(ت360هـ) في كتابه((المحدث الفاصل بين الراوي والواعي)) والحاكم أبي عبد الله النيسابوري (ت405هـ) في((معرفة علوم الحديث)) والحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي(ت463هـ) في كتابه ((الكفاية في علم الرواية)).

فلم يعرفوا الحديث الحسن في الاصطلاح , ومشهورٌ أن أول من عرّف الحديث الحسن هو الإمام الترمذي رحمه الله تعالى وتعريفه ينطبق على الحسن لغيره في عرف المتأخرين.

ثم إن للحديث الحسن وعلاقته بالإمام الترمذي مباحث كثيرة حواها هذا البحث:

1-ابتداء من حياته وعصره -حيث كان عصر جدل وخصومة ومناظرات فلسفية وغلبة العلوم الفارسية والصدامات الطائفية وتكالب الأهواء في زمن كان علم الكلام أبرز ما يتحدث فيه العقلاء، كما اشتهرت المدارس المذهبية وقواعدها الأصولية من نضج العلوم الدينية الأخرى كالنحو والبلاغة وازدهر الشعر والعروض وغيرها من الفنون والأخلاط الفكرية التي صنعتها بيئة التفتح على الآخر والتأثر بما عنده سلبا أو إيجابا.

ثم انتقلت إلى الحديث عن كتابه الجامع وما حواه من العلوم الحديثية وما قيل في شرطه ورتبته بين الكتب الستة المعتمدة.

ومن أهم ما بحثته في هذه الرسالة هو الدفاع عن أحكام الترمذي على الأحاديث وأنه عمدة فيها بنفسه ولا عبرة بمن وافقه إذا حكم بصحة أو حسن , وإذا خولف فالقول لصاحب الحجة والدليل، وهو الإمام البارع في علم العلل وخريج البخاري.

فمع تأخره في الطلب والرحلة إلا أنه كان دقيق النظر صحيح الرأي والعقيدة، الناقد المفيد إذا روى أو ناظر، سليم المباحثة وقوي المناظرة، يخوض بألحاظه في دقائق المسائل وعلل المرويات عمل في الرواية والدراية عملا بلغ فيه العلى حتى فاق الأقران، وهذا برهان

على تبحره وبصيرته في الحديث وعلله وعلومه، وكتابه الجامع دليل عليه بلا منازع لما حواه من تلكم العلوم.

ويصدق عليه قول الشاعر:

لا يعمل القول المكرر منه والرأي المردد

ظن يصيب به الغيوب إذا توخى أو يعتمد

مثل الحسام إذا تأنق والشهاب إذا توقد

كالسيف يقطع وهو مسلول ويرهب حين يغمد[1]

ثم عقّبته بالكلام عن الحديث الحسن عند أهل الحديث قاطبة وما فيه من المسائل الشائكة والصعبة, حتى قال ابن كثير وغيره أن الحسن لما كان وسطا لا يتميز بين الصحيح والضعيف كان شيئا ينقدح في النفس وتصعب العبارة عنه[2].

ولذلك بحثت اللفظ منذ ظهر كمصطلح حديثي وتسلسل استعمالاته حتى عرّفه الترمذي بجمل مجموعها يسمى الحسن عنده في كتابه، ثم أُسّست التعاريف بعده على قاعدة الحدود المنطقية لما داخلت العلوم الشرعية واختلطت بها، ومن شأن الحدود أن تكون جامعة مانعة في عرف أهل الاصطلاح.

وليس لهذا الفن أن تتحمل اصطلاحاته هذا التقييد لأن قواعده أغلبية واجتهادية لا تجمع كل الأنواع في جنسها، بل لابد لكل حديث نقد خاص لا يكاد يُرْتاب في ملابساته وخروجه من قاعدة إلى قاعدة استثنائية.

ومعلوم أن ذكر الحدود المحققة أمر أجنبي عن العلوم الحديثية [3], وتلبسها به أحدث فوارق عجيبة أنشأت خلافا بين مناهج المتقدمين ومناهج المتأخرين.

وفي وسط هذا الزخم من المسائل الخلافية في درس الحسن بالخصوص بين أهل الحديث والذي طال الخُلْف فيها عبر الحقب الزمنية المتعاقبة من دون دليل مرجح.

ومن جراء هذه الحال التي ما فتئ أهل الحديث في النظر فيها وفي مقتضياتها دفع النظار

1-نقلا من آخر مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري(ج1/ص593)

2- الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث(لابن كثير) لأحمد شاكر(ص37).

3-توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار للصنعاني(ص147).

والباحثين إلى طرح هذا التساؤل في الميادين العلمية والأوساط الباحثة.

فنقول:**(كيف نفهم مصطلح الحسن)**؟

والجواب عنه من أوجه منها:

- **أولا:** الاستقراء التام لكتب الحديث ومصنفات السنة التي ورد فيها إطلاق الحسن، من كتب المتقدمين أو من نقل عنهم من المتأخرين , فنجمع كل من تلفظ بلفظ الحسن في حكمه على الحديث (والقيام بدراسته ونقده والحكم عليه بالبيان من كلام أهل النقل والتعليل وما جرى عليه أهل الحديث قاطبة) ثم استخلاص النتائج من كلام الأئمة في إطلاق هذا المصطلح.

- كما لابد أن نجعل المقياس في الحكم على الإمام هو تحكيمه إلى واقعه وملابسات إطلاقه. ثم مدى استقرار هذا المصطلح في زمنه إلى عصر الترمذي , فقوة الدراسة للمصطلح تكمن في معرفة الطبقة التي استعملته ,وبهذا نقف على أكمل النتائج , ولا بد من مراعاة الفروق المؤثرة بين إطلاقات أفرادها.

- **ثانيا:** دراسة الحسن كمصطلح مفرد ودراسته مركبا مع غيره من الألفاظ الحديثية , وفي هذا يتميز معناه بانفراده ثم بمجموعه, لأن كل جزء تأثر بمن تركّب معه.

وينبغي حينها التدقيق على دراسة مرتبة رواة الحسن بنوعيه حال انفراده , وهذا باعتبار الراوي المُحسن له أو الإسناد الذي هو فيه وحكم عليه بالحسن لذاته من دون خارج أو بغيره ممن عضده وجبر ما كان به من ضعف.

- **ثالثا:** فهم كلام أهل الاصطلاح فهما معمقا يستوعب تفاصيل المسائل , وهذا له علاقة تامة بمعرفة مناهج الأئمة في نقد الأسانيد والكلام في الرجال بالجرح والتعديل لأنهم أهل هذا الاصطلاح[1].

2- ومهما عرض الأئمة من الأجوبة التي لا تكاد تحسم المادة الخلافية في الواقع بين التنظير لهذا المصطلح والتقعيد له وبين التطبيق العملي, حيث تجد الإمام يختلف نظره من حديث إلى غيره وقد تجده مترددا في الحكم على الحديث الواحد , وما ذلك إلا دليل على -

---

-1- نقلا من المنهج المقترح لفهم المصطلح لشريف حاتم العوني(ص145-250)

تغير الاجتهاد وزيادة العلم به بزيادة التطبيق وطول الممارسة مع المعرفة التامة بالرجال وحملة الآثار بمراتبهم وأقوال النقاد فيهم.

ولصعوبة هذا الدرس يقول الإمام ناصر الدين الألباني :" وإن مما ينبغي ذكره بهذه المناسبة أن الحديث الحسن لغيره وكذا الحسن لذاته من أدق علوم الحديث وأصعبها , لأن مدارهما على اختلف فيه العلماء من رواته ما بين موثق ومضعف , فلا يتمكن من التوثيق بينها أو ترجيح قول على الأقوال الأخرى إلا من كان على علم بأصول الحديث وقواعده ومعرفة قوية بعلم الجرح والتعديل , ومارس ذلك عمليا مدة طويلة من عمره مستفيدا من كتب التخريجات ونقد الأئمة النقاد, عارفا بالمتشددين منهم والمتساهلين ومن هم وسط بينهم حتى لا يقع في الإفراط والتفريط , وهذا أمر صعب قلّ من يصير له وينال ثمرته فلا جرم أن صار هذا العلم غريبا من العلماء والله يختص برحمته من يشاء"[1].

وهذا الباب لا ينفك أن يكون عمدة البحث فيه على الألفاظ المستعملة في الفن في علم الرجال والنقد للأسانيد فلا بد من التقيد بذلك وإلا حل به فساد عريض في القول بلا دليل أو التحكم من غير دليل.

وبهذه المناسبة قال الشيخ طاهر الجزائري :" ذكر المحققون أنه ينبغي لمن تكلم في فن من الفنون أن يورد الألفاظ المتعارفة فيه مستعملا لها في معانيها المعروفة عند أربابه ومخالف ذلك إما جاهل بمقتضى المقام أو قاصد للإبهام أو الإيهام , مثال ذلك فيما نحن فيه أن يقول قائل عن حديث ضعيف أنه حديث حسن , فإذا اعترض عليه قال وصفته بالحسن باعتبار المعنى اللغوي لاشتمال هذا الحديث على حكمة با لغة, أما قولهم لا مشاحة في الاصطلاح فهو من قبيل تمحل العذر وقائل ذلك عاذل في صورة عاذر"[2].

ولقد تميزت الفنون واصطلاحاتها في عصر الإمام الترمذي والذي كان عصره خلاصة ما تقدمه من جهود الأئمة السابقين فقد كان الحقبة الذهبية للسنة وعلومها ,وإليه صار المنتهى في تحصيل الحديث وعلومه وجلب المدونات وتوثيق الاصطلاحات وضبطها.

فانشغل الأئمة بحفظ المرويات وصرفت الهمم إلى التأليف والتصنيف في مناهج متنوعة

-1- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني(ج3/ص363)

-2- توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري(ص20)

اهتم الأئمة بتطويرها وطلبا لتيسير الاستفادة وتسهيل الحصول على الحديث الذي شق أمر البحث عنه في المطولات كالمسانيد[1].

فابتكرت الصحاح والسنن والجوامع والمعاجم والمصنفات ولكل إمام غرض فيما كتب وهذا في زمن تميزت العلوم الحديثية وأحدثت اصطلاحات تفسر المقصود من استعمالها كما كتبوا في تواريخ الرواة وأحوالهم والأسماء والكنى والطبقات وغيرها.

ومن أعظم العلوم قدرا علم العلل حيث أفردت له مدونات خاصة على شكل سؤالات تطرح على أئمة النقد العارفين بمخارج الحديث وإخبار نقلتها وقليل منهم من نبغ فيه وعز وجودهم بين أصناف العلماء في ذلك الزمان كالإمام يحيى بن معين (ت234هـ) وأبي حاتم الرازي (ت277هـ) وابن المديني(ت234هـ)وغيرهما.

ثم أُلِفَ الأئمة التأليف حتى أصبح أمرا محمودا لديهم وبرع أهل الحديث في صناعة المناهج, وتباينت مقاصدهم في كتبهم تسهيلا للعلم على طالبه.

فلما كثرت الأقلام والمحابر وحلق التحديث والإملاء ومجالس الكتابة , قال قائلهم يمدح تلك المجالس التي دونت فيها العلوم وحفظت في الصحف :

قناديل دين الله يسعى بحملها رجال بهم يحيا حديث محمد

هم حملوا الآثار عن كل عالم تقي ، صدوق، فاضل متعبد

محابرهم زهر تضيء كأنها قناديل حبر ناسك وسط مسجد

تساق إلى من كان في الفقه عالما ومن صنف الأحكام من كل مسند[2]

وزاد ذلك بهاء شهرة الرحلة إلى الأمصار في شتى البلاد الإسلامية للقاء بالأعلام في مواطنهم, ورواية كتبهم بالإسناد المتصل ومقابلته ليبقى مصونا من الخطأ أو التحريف.

وظهر في الزمن نفسه تدوين القواعد الحديثية وقوانين الرواية ومبادئ الدراية فكان ممن ألف في ذلك الإمام مسلم (ت261هـ) صحيحه وصدره بمقدمة بين فيها بعض مهمات

1- ينظر جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (ص31) والإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين لنور الدين عتر (ص126)وتوجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري(19) وأصول علم الحديث بين المنهج والتطبيق لأبي لبابة حسين(ص30) وكشف الظنون لحاجي خليفة (ج1/ص496-497)

2- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي(ص103)

المسائل في عصره ومثله فعل الإمام أبو داود (ت275هـ) في رسالته إلى أهل مكة , وبعدهما الإمام الترمذي(ت279هـ) في كتابه العلل الصغير وقد جعله ملحقا بجامعه[1].

حيث نقل فيه عن الأئمة السابقين وعن المعاصرين له (رحمهم الله تعالى جميعا) فكان بذلك كتابه من أحسن الكتب في الحديث وعلومه، كما قال الدكتور همام عبد الرحيم سعيد:" تكلم الترمذي في العلل الصغير عن منهجه في الجامع وجاء ابن رجب ففصّل الكلام عن هذا المنهج وأصبح من الضروري للباحث في سنن الترمذي أن يطّلع على شرح علل الترمذي"[1].

ولقد ساد هذا الكتاب وذاع في الآفاق بين الأئمة فقيل فيه الكثير من الثناء والمدح ومن ذلك ما قاله الإمام محمد بن علي الشوكاني:

"كتاب الترمذي أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحكمها ترتيبا وأقلها تكرارا وفيه ما ليس في غيره من المذاهب ووجوه الاستدلال , والإشارة إلى في الباب من الأحاديث وتبين أنواع الحديث من الحديث من الصحة والحسن والغرابة والضعف وفيه جرح وتعديل"[2].

فالجامع كتاب حديث وعلل وفقه وغريب ومصطلح [3] فكانت فوائد مجموعة وفرائد منوعة فيهي لمنبئة بمنطوقها ومفهومها ببراعة الإمام الترمذي وقدرته وتمكنه في النظر والاجتهاد والتعليل.

فقد تفنن فيه وتمثّل ذلك في أحكامه على الأحاديث من إفراد الاصطلاحات وتركيبها وهو يعلم القصد بها وإن لم تتبين دلالتها لمن بعده , فكان كتابه الدليل القوي على مكانته العظيمة في هذا العلم العظيم.

1- ينظر مقدمة شرح علل الترمذي للمحقق الدكتور كمال علي الجمل(ص26)

2- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للشوكاني (ج1/ص29) ونقل الحافظ ابن رجب إنشاد أبي العباس أحمد بن معد بن عيسى التجيبي في مدح أبي عيسى وجامعه . ينظر في شرحه لعلل الترمذي بتحقيق الدكتور همام سعيد (ج2/ص895)

3- العالم بهذه الفنون في أشرف مراتب العلماء بالحديث والسنة والآثار , وتليها مرتبة الحافظ للأسانيد والعارف بالرجال وأحوالهم وقد كفانا هذا بما دونه المتقدمون في مؤلفاتهم المسندة وكتب لجرح والتعديل , ومنها المحدث الذي له القدرة للعية المميز بين الصحيح والسقيم ونقد الأسانيد , ثم تليها مرتبة المحدث الجامع المفيد وطالب العلو المكثر من الطرق والأوجه وتحصيلها بالرحلة إلى البلدان.

وزيادة على ذلك هي دليل على قوة ما شرطه في جامعه بين سائر من ألف في السنن ممن لم يشترط الصحة فيه , ثم إنه لدليل بلا مدافعة على عدم تساهله في الحكم على الأحاديث والرواة, وما انتقد فيه فهو إما من جهة الطبع البشري أو ما كان له فيه من عذر في تخريج أحاديث عيب عليه الرواية عنهم.

ولذلك وصف الإمام بالتساهل في أمرين:

الأول: في توثيقه للرواة وتعديلهم مع أنهم عند غيره ضعاف أو متروكون.

الثاني: في الحكم على الأحاديث بالصحة والحسن لرواة ليس حديثهم عند النقاد كذلك.

قال الدكتور ضياء الدين الأعظمي:

فإنه"مع جلالة قدرته وإمامته في الحديث تساهل في تصحيح الأحاديث , ((قال الذهبي في تاريخ الإسلام :ونفسه في التجريح ضعيف))...ومهما كانت الأسباب فالمنهج الذي اختاره إنما هو منهج المتساهلين , ولذا ذكره ((الذهبي في مقدمة كتابه : ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل)) في القسم الثاني الخاص بالمتساهلين.

فيكون حكمه على الرجال وفق منهجه الذي اختاره لنفسه وكل مجتهد مأجور"[1].

والحقيقة العلمية أنه لا يسلم من النقد أحد بعد النبي المعصوم (صلى الله عليه وسلم) وكل متكلم في الشريعة فله الذي حمله على ما صنع, وكل مجازى عن نيته.

ومعلوم أن طلب الحق عند الأئمة مقدم على كل أحد ولو كان أقرب قريب أو أحب صديق, والقاعدة المعمول بها عندهم "الدين النصيحة"ولا يبغون غير ذلك , ولا يخرج أحدهم عن أحد أمرين إما إصابة أجران وإلا فله أجر واحد.

ولذا فرقعة الخلاف بين الأئمة تضيق ما دام الأمر في مجال البحث بين الفحول الأقران وقد قيل:لو سكت من لا يعلم لقل الخلاف ,ومن باب التنبيه على المهمات في مواطن طلب الكمال فالعلماء الناصحون للدين والأمة هم طلبة حق بعزيمة الجد.

وإنه يحسن في مثل مقامه أن يقال في شيخنا الترمذي مثل الذي جاء عن الإمام الذهبي في تغنيه بهذه الأبيات شوقا لشيخه الإمام الطرابلسي , وكان يسمع به ولم يره حتى قدم عليه دمشق وحضر مجلسه:

-1- دراسات في الجرح والتعديل لمحمد ضياء الدين الأعظمي(ص73)

ما زلت بالسمع أهواك وما ذكرت من أخباركم قط إلا ملت من الطرب

وليس من عجب أن ملت نحوكم الناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

4- وفي موضوع الحسن مسائل كثيرة لها به وطيد العلاقة نكتفي بذكر أهم المسائل العليقة بموضوع الحديث الحسن وهي : قضية حال مرتبة الرواة المتوسطة بين الجرح والتعديل هي في أدنى مراتب التوثيق وأول مراتب التجريح , فإذا نجا الراوي من الجرح ولكن لم يكن في درجة الصحيح حُسِّن حديثه وتقرر الاستدلال به في موارد الاحتجاج.

وإذا مالت به كفة الجرح ضُعِّف حديثه وأصبح في قسم المردود ما لم يرد من جهة أخرى تعضده وتقوي ضعفه, هذا إذا كان مما يصلح للاعتبار به.

أهمية الموضوع:

ومن خلال ما سبق بيانه تظهر أهمية الموضوع المطروح للبحث.

فهذا الموضوع الذي وقع اختيا ري له لا تخفى قوة علاقته ومدى صلته بعلم الحديث بل هو من أصول أبوابه ولب علومه لأنه يكوّن اللبنة التي جمعت علوم الإسناد ودراسة المتن , وبيان العلل والكلام في الرجال فلا يكون المحدث من أهل الصنعة حتى يعي ذلك كله فتمتزج به هذه العلوم وتختلط به كلية كأنها بعض منه.

ومنه بطبيعة الحال الحديث الحسن وما اتصل به من المسائل التي لا تكاد تنفك عن هذه العلوم التي سبق ذكرها , فلب المنهج التطبيقي عند المتقدمين نال الحديث الحسن منه حظا وافرا لكونه ليس له حد يجمعه.

وإنما تكرس فيه الجهود المستمرة مع الاستعانة بالعلوم الحـ ـديثية وقواعدها المؤسسة وذلك لتحصيل الحكم, وليس الأمر لكل أحد لوعورة المسالك وصعوبة النظر والتوفيق بين الآراء المتنافرة فيه.

فموضوع الحسن عند الترمذي بالأخص يحتاج من كل ناظر وباحث أن يطيل إمعان النظر ويديم البحث بالتتبع لحكمه على الأحاديث بالحسن في الجامـ ـع, لنخلص في ذلك بمنهج الإمام الترمذي في التحسين, مستعينا بالموازين التي عمل بها هو نفسه.

سبب اختيار الموضوع:

تم اختياري لهذا الموضوع وبهذا العنوان بالخصوص للأمور التالية:

-1- أجدني لي ميلا في دراسة علوم الحديث وما له علاقة بالسنة رواية ودراية قاصـــدا التعرف على المناهج والمسالك التي من خلالها تم بناء هذه العلوم وخدمتها.

-2- مدى أثر هذا الموضوع من الناحية العلمية والعملية التطبيقيـــة في أوســـاط المحـــدثين المتقدمين خاصة والمتأخرين الذين كرسوا جهودهم للتقعيد لفنون علم الحديث والحسن على وجه الخصوص.

-3-محاولة استقصاء هذا البحث والاطلاع على مَجالِّ الوفاق والخلاف فيهـــا وأثرهـــا في الجانب التطبيقي عند المحدثين , وعند الإمام الترمذي على وجه التحديد لأنه رحمه الله هـــو أول من أشهر مصطلح الحسن في الجامع على غير ما كان عليه شيوخه الذين اســـتعملوه في إطلاقاتهم .

-4- أحاول أن تتميز مباحث هذا الموضوع بالجدة والحداثة من جهة جمـــع المعلومـــات وترتيبها وفق منهجية محكمة وتحليل المسائل ودراستها على منبر الموضوعية والتجـــرد ومـــا ذلك للوقوف إلا على أحسن النتائج وأكملها وهي عاقبة كل مريد للحق.

-5- تباين إطلاقات المحدثين للحسن في حكمهم على الأحاديث واختلاف مقاصـــدهم في ذلك، وهو ما يدعو للوقوف والحيرة من استعمال الترمذي له أيضا.

ففضلت الخوض فيه والبحث عن حقيقة هذا اللفظ ومقصد الترمذي من التحسين وهل التزم بما اصطلح للحسن في الجامع ؟.

إشكالية الموضوع:

يهدف هذا الموضوع إلى بيان غموض في المر اد بالحديث الحسن الـــذي عرفـــه الإمـــام الترمذي في كتابه العلل واستعمله في كتابه الجامع.

ولقد حصل إشكال عند من جاء بعده إذ لم تستبن مقاصد الترمذي من إطلاقاته للحسن إفرادا وتركيبا، وخصوصا بعد تقييد المصطلحات وتميز الحدود عند المتأخرين فوقع بـــذلك لبس قائم لا يند فع إلا بالبحث وتتبع الأحاديث الحسان في الجامع وكيف حصل تحـــسينها من قبل الترمذي.

ومحل الإشكال بالذات في كونه عرف الحسن ونسب التعريف إليه فقد قال :''**وما ذكرنا في هذا الكتاب حديث حسن، فإنما أردنا حسن إسناده عندنا : كل حديث يروى لا يكون في إسناده متهم بالكذب ولا يكون الحديث شاذا , ويروى من غير وجه نحو ذلك. فهو عندنا حديث حسن**''.

ثم هو يطلق الحسن كما أطلقه المتقدمون لكن تباينت الاستعمالات قبل استقرار حد هذا المصطلح، فلابد والحالة هذه من الدراسة الموضوعية لكل حديث بمفرده مما حسنه الترمذي لرفع الإشكال وإزالة اللبس والكشف عن منهج الترمذي في التحسين.

المنهج المتبع في البحث:

الخطوات التي تتبعتها في هذا البحث كالآتي:

- أتتبع بعض الأحاديث التي حسنها الترمذي لإيرادها كشواهد لأوجه التحسين عنده من غير نقد ولا مقارنة بينه وبين أحكام المحدثين إلا ما كان في بيان سبب تحسين الحديث والمراد منه معرفة صنيع الترمذي في الجامع.
- أخرج الحديث من الصحيحين والجامع والسنن الثلاثة والمسند وقد أخرج من الموطأ إن احتجت إلى ذلك ولا تجدني أخرّج من غير هذه الكتب باعتبارها أمهات كتب السنة.

ومما التزمته في هذا البحث أن أترجم للرواة الذين هم عمدة الدراسة وغالبا ما أقتصر على تقريب التهذيب لابن حجر لنقل خلاصة ما قيل فيه تعويلا على أحكامه، وبعض الرواة ممن هم أساس دراسة حديث حسنه الترمذي ويكون سبب التحسين فأذكر أغلب ما جاء عن النقاد فيهم لمعرفة ملابسات التحسين ووجهة نظر الترمذي في الراوي.

- كما أني لا أترجم للأعلام المشهورين بالتأليف في الحديث وعلومه ولو ممن عرف الحسن في كتابه اكتفاء بشهرته و لم أُعرِّف إلا بمن كان له علاقة بموضوع الحسن كالأئمة الذين استعملوه في أحكامهم من المتقدمين، وإن ترجمت لابن حزم فقد جهل الترمذي.

الخطة التفصيلية للبحث:

اقتضى البحث في منهجية الترمذي في التحسين أن أضع رسم خطته التي سرت عليها حيث تضمنت بعد المقدمة فصلين ثم خاتمة.

أما **الفصل الأول** فقد احتوى على ثلاثة مباحث:

فالمبحث الأول: كان فيه دراسة لحياة الترمذي, فتكلمت عن الحياة السياسية بتوسع لبيان ملابسات عصره السياسي وأعمال البلاد الإسلامية وإمارتها بسلمها وحربها، ثم أوردت الحديث عن أنواع الفرق الإسلامية والبلاد المجاورة وأثرها على الحياة السياسية.

ثم بينت حال الحياة الاجتماعية والاقتصادية ثم الحياة العلمية والفكرية في عصر هذه النهضة السائدة, وختمتها بأثر ذلك كله على الترمذي وعلمه ونبوغه.

والمبحث الثاني: درست فيه ما تعلق بترجمة الترمذي من مولده ونسبه إلى رحلته وطلبه للعلم وأوردت بيانا عن طبقات شيوخه ثم تلاميذه وثناء الأئمة عليه وجلالته في علوم الحديث ثم آثاره ووفاته.

والمبحث الثالث:حيث حوى الدراسة الثالثة وكانت على كتابه الجامع، فاشتملت على بيان اسم الجامع وأنه ليس على شرط الصحيح لما حواه من الحسن والضعيف والغريب والمطروح وأن شرطه أقوى من شرط أبي داود أو هو في رتبته وبينت علل ذلك، ثم تكلمت عن اهتمام العلماء به من جهة الرواية والشرح وما أثني عليه به من مدح، وناقشت في خاتمة المبحث مسألة دعوى تساهل الترمذي في الأحكام والكلام في الرجال بالتوثيق، وكان الناس في ذلك على طائفتين وترجح لي أنه عمدة في الفن يعول عليه كغيره من أهل الحديث ولبيان ذلك سقت عشرة أوجه دفاعا عن مكانته.

وأما **الفصل الثاني:** فقسمته إلى ثلاثة مباحث أيضا فكانت كالآتي:

المبحث الأول: تناولت فيه دراسة عن الحديث الحسن منذ ظهور مصطلح الحسن عند المتقدمين من غير معنى مشترك والمراد به في اللغة وبيان مناسبة نقله إلى الاصطلاح عند المحدثين.

ثم تكلمت عن حدود الحديث الحسن عبر الحقب الزمنية المتعاقبة وما جاء في كل منها من اعتراض أو تسليم للمعرف، وأن الواضع الأول لتعريف الحسن هو الإمام الترمذي وعلى منواله نسج القوم بعده فكأنه وضع اللبنة الأولى لتحديد المقصد الجوهري للحسن وبيان حال مرتبة رجاله وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الكريم معبد :"على ضوء تعريف الترمذي للحسن وحال رواته صاغ الخلف عدة تعريفات للحسن لذاته مع تنوع عباراتهم

عن ذلك... لكن أقرر أنهم جميعا متفقون على نزول درجة راويه عن درجة راوي الصحيح ارتفاعه عن الضعيف..."[1].

فأراد أن يؤسس للمسألة الحكم على الوصف اللازم له [2] من جهة كون وصف الصحة والضعف لا يلائمه بل يغايره لانفكاك الجهتين عن بعضهما اعتبارا بتغاير القيود في كل قسم من الأقسام الثلاثة , ولذلك فقد جرى تسلسل المسائل للكلام عن القسمة الثلاثية للحديث فذكرت الخلاف فيمن سبق إليها وناقشت أصحابها في الحكم الاحتجاج بالضعيف الذي قبل الترمذي والذي هو أحسن من الرأي عند المتقدمين.

وأما المبحث الثاني : فكان الحديث فيه عن تعريف الترمذي وأهميته فقمت بتحليل ألفاظه ودراسة كل قيد على حدة، وما فيه من الاشتراط والتقييد حتى يصلح أو يكون قيدا على منهج الترمذي وشرحته ونقلت ما قاله السابقون والباحثون فيه، ولم أغفل مسألة ترقية الأحاديث بالجابر المعضد في قول الترمذي (ويروي من غير وجه).

ثم جعلت مطلبا خاصا أوردت فيه ما قيل في التعريف من اعتراض أو نقد وفي هذه الجزئية قارنت بينه وبين تعريف الخطابي وتعريف ابن الصلاح.

وبعده المبحث الثالث :حيث تكلمت عن منهج الترمذي في إطلاق الحسن بين التركيب والأفراد والذي حملني على إيراد إطلاق الحسن مركبا إنما هو اختلاف نسخ الجامع في قوله حسن أو حسن صحيح[3].

فالمطلب الأول منه في قاعدة الترمذي في التحسين مركبا مع الصحيح والغريب والثلاثة معا، وأن ألفاظ الترمذي المركبة بهذا الشكل لم يظهر معناها للباحثين على وجه الوفاق فجرهم الخلف إلى الاحتمالات فكثر النقد والاعتراض وبقي المعنى في نفس الشاعر ولكل حديث نقد خاص.

المطلب الثاني في منهج التحسين المفرد وبينت فيه أن الترمذي عرف بنوع واحد من -

---

1- ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل بين الإفراد والتكرير والتركيب لأحمد عبد الكريم (ص141).

2-ثبت أن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون الوصف علة -قاله الرازي في المحصول في علم أصول الفقه (ج2/ص90-183)و(ج5/ص200) الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري (304/12):"إن ذكر الصفة في الحكم يقتضي التعليل".

3-النكت على ابن الصلاح للزركشي (ص107).

الحسن على شكل الحدود, حيث جمع فيه ثلاثة القيود التي سبق تحليلها، وأوردت في هذا الموضع مرتبة الرواة المختلف فيهم لأنهم عمدة البحث في الحسن لغيره.

وذكرت النوع الثاني وهو الحسن لذاته وأن الترمذي ذكره في جامعه معرفا له بطريقة المثال والتطبيق، ثم بينت ذلك ببعض الأحاديث كالأمثلة على التقسيم الثنائي للحسن في كتابه الجامع, بينت أن الترمذي قد يوافق المتقدمين قي إطلاق الحسن على غير القاعدة الاصطلاحية، فيحسن الضعيف المنكر والـ صحيح الذي في أحد الصحيحين أو على شرط أحدهما وهو معنى الحسن اللغوي.

وليس من السهل الوقوف على منهج أحد الأئمة إلا باقتفاء المنهج الاستقرائي مع الممارسة، وقد قال الحافظ ابن رجب:" ولابد في هذا العلم من طول الممارسة"[1].

ثم أنهيت البحث **بخاتمة** وبينت فيها أهم النتائج التي وقفت عليها في هذا البحث المتواضع.

وفي الختام أتوجه بالحمد والثناء على الله تعالى الذي أكرمني وأعانني ووفقني، كما أدعوه القبول والرضوان من سائر عملي وأن يكون خالصا لوجهه الكريم.

وأصلي وأسلم على محمد النبي الأمي الذي دعانا إلى الهدى و صراط مستقيم، وعلى آل بيته الطاهرين وصحابته المهديين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

-1- شرح علل الترمذي لابن رجب تحقيق د.همام سعيد(ص159-و816).